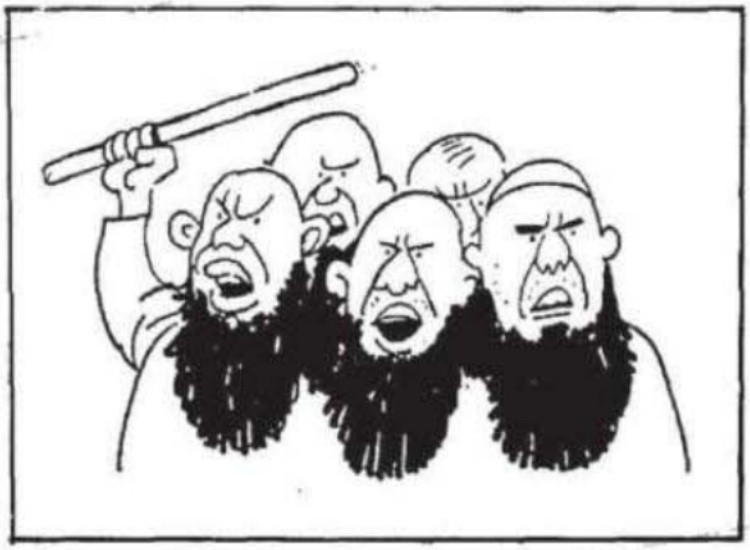

قصـــــص التعذيـــــــب

- صرخ المتهمون " امسكوا الجلاد " واكتشفت المحكمة أنه أستاذ جامعى
- اعترافاتهم : نستخدم أمواس الحلاقة والآلات الحادة لإصابة أنفسنا

قصص التعذيب
من تأليف الإخوان

شيئان لا يمكن إجراء جراحة تجميل لهما :

ماء النار عندما يشوه وجه إمرأة جميلة .. والتعذيب عندما تتهم دولة بممارسته .. والإخوان المسلمون نسجوا قصصا حول التعذيب لم تحدث حتى فى سراديب موسوليني ولا فى أفران هتلر لم يتركوا نظاما إلا ورموه بهذه التهمة البشعة .. قبل الثورة وبعدها .. فى عصر فاروق وفى حكم عبد الناصر والسادات ومبارك .. وكأن كل حكومات مصر قد خلقت لتعذيبهم ومطاردتهم والتنكيل بهم .

وإذا كانت القاعدة الشرعية تقول " البينة على من ادعى واليمين على من أنكر " فسوف نقدم البينة على كذب ادعاءاتهم .

فجر محمود إبراهيم حسن أحد المتهمين فى قضية تنظيم جهاد سنة ٨١ مفاجأة صاخبة ، فى قضية التعذيب الكبرى رقم ١٣٠٥ لسنة ٨٢ ، والمتهم فيها ٤٤ ضابطا من مباحث أمن الدولة والسجون .. وكانت أدلة الاتهام هى أقوال الشهود بالإضافة إلى تقارير الطب الشرعى التى أشارت إلى وجود إصابات فى ٢٦ متهما شملتهم القضية .

هو الذى فضح خطة تشويه وجه النظام بماء نار التعذيب ، وقدم لمحكمة أمن الدولة العليا أدلة دامغة على قيام المتهمين أنفسهم بإحداث إصابات فى أجسامهم باستخدام أمواس الحلاقة والآلات الحادة ، حتى يحدثوا إصابات بأنفسهم قبل عرضهم على الطب الشرعى .. وأشرف على هذه العملية عبود الزمر الذى سلم ورقة لكل متهم مدونا فيها أسماء الضباط الذين قاموا بتعذيبهم .. وقدم للمحكمة بعض هذه الأوراق بخط عبود .

وفى إحدى جلسات المحاكمة صرخ بعض المتهمين بأعلى صوتهم مشيرين إلى شخص كان يجلس بقاعة الجلسة وبدون بعض الملاحظات ، وأقسموا أنه شارك فى تعذيبهم والتنكيل بهم .. وبعد القبض على الشخص تبين أنه الدكتور على محمد إبراهيم أبو العيش الطبيب بمستشفى جامعة عين شمس ، وأن الجامعة كلفته بحضور الجلسات لدراسة الأحوال النفسية للمتهمين فى قضايا التعذيب .. وأنه حصل على إذن من المحكمة لحضور الجلسات .. وأدلى بأقواله أمام النيابة وقيدت برقم ٣٥١ لسنة ٨٣ . وفطنت هيئة قضايا الدولة إلى هذه الخدعة التى تستهدف إرهاب رجال الأمن وهز ثقتهم فى أنفسهم ووطنهم .. وقدمت للمحكمة أدلة مضادة أثبتت أن أقوال المتهمين متناقضة ولا ترقى إلى مرتبة الدليل ، وأن التهمة شائعة ويحيط الشك صحة إسنادها .

وكشفت أسباب البراءة التى تضمنها الحكم ، عن وجود مخطط نفذه المتهمون فى قضايا تنظيم الجهاد ، للنيل من رجال الشرطة والنيابة العامة.. وعلى وجه التحديد جهاز مباحث أمن الدولة الذى تحمل العبء الأكبر فى ضبط هؤلاء المتهمين وتقديم أدلة الاتهام ضدهم .. وأنهم بمخططهم هذا سعوا للإساءة إلى ضباط مباحث أمن الدولة والسجون بهدف تحطيمهم وتحطيم جهاز الشرطة انتقاما منهم لضبطهم ، وإجهاض مخططهم فى قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة .. وأنهم قاموا بإحداث إصابات عديدة بأنفسهم لإلصاق الاتهام برجال الشرطة

وأوضحت جلسات المحاكمة أن المتهمين اتفقوا على تشكيل لجنة أسموها " لجنة النظام " فى ٨ ديسمبر ١٩٨١ ووزعوا الأدوار فيما بينهم لاتهام الضباط الذين قاموا بضبطهم .. وأثبتت النيابة العامة أنها بادرت بتحقيق كل شكوى بوقوع تعذيب على أحد منهم ، وأن أعضاء النيابة ناظروا المتهمين وأحالوهم للكشف الطبى ، وثبت أن الغالبية العظمى منهم لم تكن بهم إصابات أثناء مناظرتهم .

فما كان من المتهمين إلا أن اتهموا النيابة العامة بالتواطؤ مع مباحث أمن الدولة على تعذيبهم وعدم إثبات ما بهم من إصابات .. فقدمت النيابة

مفاجأة أخرى وهى ورقة بخط يد عبود الزمر ضبطت مع أحد المتهمين واسمه حسن شنن أثناء ترحيله لمكتب النائب العام لسؤاله فى وقائع التعذيب .. واشتملت الورقة على تعليمات بضرورة الإصرار على طلب التحقيق مع وكلاء النيابة بدعوى تضامنهم مع مباحث أمن الدولة .

وجاءت تقارير الطب الشرعى لتنسف البقية الباقية من الأدلة الوهمية ، ولم تجد دليلا على حدوث الإصابات المشاهدة بكل منهم فى الفترة الزمنية التى حددها كل من المصابين ، وبذات الوسائل والأساليب التى ذكرها كل متهم .

وللمرة الأخيرة صرخ المتهمون مشيرين إلى أحد الأشخاص فى قاعة المحكمة .. واتهموه أنه أشرف على تعذيبهم وأجمعوا على ذلك .. وانفجرت القاعة بالضحك عندما تبين أن الشخص هو أمين سر النيابة .

***

وفى موسم أوكازيون التعذيب " الذى امتد أعوام ٨١ و٨٢ و٨٣ .. لعب الإخوان دور الشرير الذى يحرك العرائس من راء الستار .. وملأوا الدنيا ضجيجا بعودة سجون عبد الناصر وزبانيته .. وكانت الدولة فى مرحلة إعداد تقييم للموقف السياسى والحزبى .. فاستغلوا هذه الثغرة ونفذوا منها إلى النقابات المهنية ، خصوصا الأطباء والمهندسين .

واندفعت هاتان النقابتان - قبل وقوع المحاميين فى براثن الإخوان - للحصول على تصاريح رسمية لزيارة السجون .. وبالفعل تمت هذه الزيارات وبطريقة مفاجئة .. وأمر اللواء حسن أبو باشا الذى كان وزيرا للداخلية فى ذلك الوقت بالسماح لأعضاء الوفدين بلقاء كل من يطلبونه من المتهمين ، بل وزاروهم داخل غرف احتجازهم .

وفى أعقاب ذلك أرسل الدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء والدكتور عبد العزيز حجازى نقيب التجاريين برسالتين لـ حسن أبو باشا[1] ، أشادا فيها بحسن معاملة المتهمين ورعايتهم وطلبا تحقيق بعض المطالب وهى :

(١) انظر صورة الخطابان فى ملزمة الوثائق.

١- السماح لطلبة كلية الطب من المتهمين بأداء الإمتحان فى لجان خارج السجون .

٢- تحسين ظروفهم المعيشية بالمعتقل بوضع أقل عدد ممكن منهم فى غرفة واحدة .

٣- السماح للطلبة بأداء الامتحانات وتزويدهم بالكتب .

واستجاب حسن أبو باشا لكل هذه المطالب وأصدر قرارا بمراعاة الحالات الإنسانية .. وسمح لبعض المتهمين بالخروج من السجن لزيارة ذويهم الذين حالت ظروفهم الصحية دون الذهاب إلى السجون لزيارتهم .

***

والدكتور محمد عبد الحميد السقيلى الذى كان مدرسا مساعدا بكلية طب الأسنان بالإسكندرية وأصبح رئيسا للقسم الآن .. كان ضمن أعضاء تنظيم الجهاد ، وعندما ثبت أنه لم يكن منخرطا فى التنظيم أفرج عنه .

وهذا الطبيب اعتبره الإخوان أحد ضحايا التعذيب ونسجوا القصص الطويلة حول جلده وتعليقه وكسر ساقه .. وعندما ذهب إلى بلده ووجد هذه الشائعات أرسل خطابا[1] من تلقاء نفسه قال فيه إن الإصابة من حادث سيارة، وذكر بالحرف الواحد " فالأمر يتعلق بأننى بعد خروجى من ٨٣/٢/٢٣ ، واجهت عاصفة عجيبة أثارت رياحها أكاذيب وشائعات من محت عقولهم الجاهلية وسودت قلوبهم الأحقاد ، وهى أننى لاقيت من التعذيب ما كسر لى المفصل ، ولكن بشجاعة المسلم وصدق الرجولة واجهت هذه الأكاذيب ليس للمواجهة ولكن للحقيقة والحمد لله كان النصر للحقيقة حيث المعاملة الطيبة والأخلاق العالية التى قابلتها وتعاملت معها طوال تلك الفترة وتغلبنا على هذه الأكاذيب والافتراء بحمد الله .

والنموذج الآخر لهذه الافتراءات هو صفوت الزينى فيلسوف جماعة التكفير والهجرة والرجل الأول فى هذه الجماعة ، ورغم خطورة أفكاره

(١) انظر صورة الخطاب بخط يده وتوقيعه فى ملزمة الوثائق.

واتباعه أساليب العنف والإرهاب ، إلا أننا نجحنا فى إقناعه بالحجة وليس التعذيب ، لجأنا إلى العلماء وليس الجلادين .. كنت أتصل به بصفة مستمرة وأقدم له كل العون والمساعدة .. وعندما توسمت فيه إمكانية أن ينتهج الفكر المعتدل ، انتهزت الفرصة على الفور .

رتبت له لقاءات طويلة مع الدكتور الأحمدى أبو النور واستمر الحوار بصفة يومية أكثر من ٨ ساعات .. وعندما طلب بعض الكتب والمصادر وفرناها له على الفور وأحضرنا له أكثر من ٣٠ كتابا ومرجعا من مختلف المكتبات فى القاهرة والسعودية وبيروت ، وتركناه أكثر من شهرين يدرس ويتفقه .. ونجح الدكتور الأحمدى فى إقناع فيلسوف جماعة التكفير والهجرة بخطئه .

فهل يمكن لسجون أن يمارس فيها التعذيب ليل نهار - كما يزعم الإخوان - أن توفر كل هذه الإمكانيات لأحد المسجونين الخطرين .. والمعروف أنه محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة سنة ٧٧ فى قضية خطف الشيخ الذهبى وهو موجود الآن بالسجن ولم تنته مدة العقوبة ، وكتب عشرات الرسائل التى يشيد فيها بالمعاملة فى السجن .. ويقول فى إحدى رسائله[1]، لقد تركتم بصمات حسنة فى كثير من أمورى ، فكم لكم من أياد بيضاء لا تنسى .. فقد كنتم فى أوقات الشدة معينا ومساعدا ، رقق الله قلبكم لكثير من شأنى ، فكنتم سببا أراده الله لتخفيف بعض ما أعيانى ، وتطييب بعض آلامى وجروحى فى محنتى التى أمر بها " .

وإذا كان صفوت الزينى قد بعث برسائله من السجن ، فهناك بعض الإخوان الذين أرسلوا خطابات من الخارج يشيدون فيها بمعاملتهم .. ومنهم الدكتور عبد الفتاح الجندى أستاذ الأمراض الجلدية والتناسلية بجامعة الأسكندرية والذى حكم عليه بالأشغال خمس سنوات فى مؤامرة ٦٥ ، ثم ساعدناه ماديا حتى سافر إلى السعودية وعمل بأحد مستشفياتها .

(١) انظر صورة رسائله بخط يده بملزمة الوثائق .

ويقول فى رسالته[1] " أبعث إليكم بهذه الرسالة بمناسبة سفرى للخارج لأقدم واجبا من الشكر نحو ما قدمته نحوى أسرة مباحث أمن الدولة من خدمات قبل وبعد خروجى من المعتقل وأخص بالشكر والعرفان الإخوة " مع الاحتفاظ بالألقاب الرسمية " فؤاد علام ونديم حمدى ومحمد الطوخى وكمال حسنى .. راجيا من الله أن يوفقكم إلى كل ما فيه الخير والسعادة لكل أبناء هذا الوطن العزيز .. وخاصة من كان منهم فى ضيق لأنهم أولى بالمساعدة، ولأنهم فى حاجة إلى رسم صورة جديدة لرجل الأمن فى هذا الوقت الجديد.. وجزاكم الله عنا كل خير ووفقكم دوما إلى الخير وأعانكم فى كل ما هو خير " .

***

ولم يكن أحد يستهدف الإخوان فى مؤامرة ٦٥ أو يفكر فى تعذيبهم .. ولكن ظروف وملابسات القضية استدعت الحصول على اعترافاتهم بوسائل قانونية ، لأننا كنا فى سباق مع الزمن لإنقاذ مصر من مؤامرة لا يعلم سوى الله مداها .

وكلفنى العقيد أحمد رشدى الذى كان مسئولا عن التحقيق مع الإخوان فى ذلك الوقت بمناقشة إثنين من المعتقلين هما إسماعيل حسن الهضيبى وسمير سليمان الهضيبى ، لا أعرف سبب اختياره لإثنين من عائلة الهضيبى أحدهما نجل المرشد العام الأسبق لأقوم باستجوابهما .

اخترت الزنزانة رقم (٧) فى معتقل القلعة لأنها كانت متسعة إلى حد ما ، وتقع وسط المعتقل مما يسهل استدعاء أى معتقل بسرعة .. واستدعيت إسماعيل الهضيبى أما سمير فلم يكن قد اعتقل بعد ، أجلسته على كرسى وجلست أنا فى مواجهته وأمامنا ترابيزة صغيرة .. وبعد استجواب امتد ساعات حصلت على المعلومات المهمة التالية :

* إن الإخوان المسلمين انقلبت من الإشتغال بالدين إلى السياسة كوسيلة لتحقيق هدفها فى الوصول إلى الحكم .

(١) انظر صورة خطابه بخط يده بملزمة الوثائق.

* إن والده حسن الهضيبى لم يكن أساسا من الإخوان المسلمين لكنه كان متعاطفا مع الفكرة ولذلك وافق على أن يصبح مرشدا للجماعة فى وقت لاحق كى ينقذ الدعوة من الانقسام بعد موت حسن البنا .

* ذكر لى أسماء من يعملون بالتنظيمات السرية ومن بين هذه الأسماء من يدعى أحمد رائف عبدالحميد .

والغريب أن إسماعيل الهضيبى لم يشك تعذيبه ولم يلجأ للقضاء فى قضايا التعذيب ، وإنما الذى لجأ هو أحمد رائف الذى ملأ الدنيا ضجيجا بتعذيب الإخوان ، وتقدم ببلاغ ضدى للنيابة يتهمنى بتعذيبه ، وأضفى على نفسه بطولات وهمية .. وعندما اطلعت النيابة على رسائله التى تغنى فيها حبا بمباحث أمن الدولة وإشادة بحسن معاملته ومساعدته .. حفظت النيابة البلاغ إداريا .

الخيط الثالث فى هذه القضية هو سمير الهضيبى والذى أثبتت الأحداث فيما بعد أنه لم تسأ معاملته ، وحتى بعد خروجه من السجن وذهابه إلى الكويت كان يبعث برسائل شخصية ، تنفى تماما شبهة تعرضه للتعذيب .

ويقول فى إحدى رسائله[1] " عزيزى فؤاد بك .. أحوالى هنا على ما يرام والحمد لله . عندى فولكس على قد الحال موديل ٦٧ وهى متعتى الوحيدة هنا فى هذا البلد الموحش .. والواحد بيشتغل فى التدريس زى الطاحونة فى الصباح والمساء ، والعلوم جديدة على الواحد وهى تحتاج مجهودا ، ولكن كل هذا فى سبيل الدنانير .. أخبارنا هنا أن المأمون " مأمون الهضيبى " وصل وهذا يدل على أن الأحوال أصبحت مبحبحة جدا .. وقد استقبل من بعض إخوانه استقبالا طيبا ، ولكن فشلت جهودهم حتى الآن فى إيجاد عمل له وهذا أحسن طبعا حتى لا يلتصق بهم وهو يبحث عن طرق أخرى للعمل فى البنوك ، عن طريق بعض أصدقائه القدامى أيام السهر والشباب ، ويظهر أن هؤلاء هم اللى فيهم البركة " .

" آخر خبر أن أحمد رائف أرسل إلى يطلب مساعدته فى نشر بعض مسرحياته فما رأى سيادتكم .. أعتقد أنه يمكن أن يكون لى نصيب من الأرباح وهذا ضرورى لو نجحت هذه المسرحيات ، وأخبرنى أن له بعض

(١) انظر صورة خطابه بخط يده وتوقيعه فى ملزمة الوثائق .

القصص نشرت فى جريدة الجمهورية كما وعدته أنت من قبل " أنكر أحمد رائف ذلك فى تعليقه ".

ولم يكتب سمير الهضيبى هذه السطور تحت سطوة التعذيب ، وإنما بعد فترة من ذهابه للكويت .. والسؤال أطرحه على الإخوان الذين أدمنوا البكاء على حائط التعذيب : هل يمكن للجلاد غليظ القلب أن تربطه هذه العلاقات الطيبة بالضحية ؟

***

ومن الوثائق المهمة التى تؤكد كذب الإخوان فى ادعاء التعذيب .. مكالمة تليفونية مهمة طرفاها إبراهيم الزعفرانى والشيخ أحمد المحلاوى .. تفضح أسلوب صنع قنابل التعذيب الوهمية ..

الزعفرانى : السلام عليكم .

المحلاوى : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ز : أنا إتقابلت مع الأستاذ عادل عيد " محام " واتصلنا بالأستاذ مختار نوح .. فقال أن حضرتك مستدعى للشهادة فى قضايا التعذيب .

م : خلاص ، يبقى أمر بسيط .. يبقى مافيش داعى حد يروح خالص .

ز : بس لازم نجيب سيرة واحد فى القضية من اللى ما بيرحموش المسلمين " ضحك " فيه واحد فيهم مضروب .. لازم نحط إسمه .

م : خلاص خير إن شاء الله .

ز : لو فؤاد علام .. لازم نجيبه الراجل ده إبن " .... " .. هو قاسى على المسلمين .

م : آه خير إن شاء الله .

ز : هو قاسى على المسلمين وجبار .

م : ربنا يسهل إن شاء الله .

ز : لازم نذكر أسماء عشان نخلى الموضوع حيوى .. أما ضد مجهول، فبيعدى . فالجبارين على المسلمين ، دول ربنا ينتقم منهم .

م : الله كريم .

ز : هو حضرتك حجزت فى الديزل .

م : لا فيه سيارة حروح بيها .

وإبراهيم الزعفرانى أحد قيادات الإخوان فى الإسكندرية واعتقل عدة مرات .. وكانت مناسبة التسجيل أننا كنا نتابع إحدى القضايا وبها مراقبة تليفونية بتصريح من النيابة ، وفوجئنا بإبراهيم الزعفرانى يتصل بأحمد المحلاوى الداعية الإسلامى المعروف والخطيب الأول فى مساجد الإسكندرية ويحرضه على الزج بإسمى فى قضايا التعذيب ، لأن ذكر الأسماء " بيخلى الموضوع حيوى " على حد زعمه .

وبعد الإفراج عن المحلاوى الذى كان معتقلا فى أحداث ٨١ بدأ سيل بلاغات التعذيب كمخطط إخوانى لتحييد أجهزة الأمن .. والتأثير عليها وشل حركتها حتى لا تتابع نشاطهم .. والغريب أن المحلاوى الذى تربطنى به علاقة قوية لم يرفض الفكرة ووافق على أن يزج بإسمى فى القضية .. لأنه كان مطلوبا للشهادة فى إحدى قضايا التعذيب .. والشيخ المحلاوى مازال يزاول عمله حتى الآن فى أحد المساجد بالإسكندرية .

***

ليس صحيحا - إذن - أن التعذيب فى سجون عبد الناصر ومن بعده .. هو الذى أثمر جنين العنف والإرهاب والدم .. لأن الأفكار الملغومة نشرها لأول مرة فى مصر حسن البنا ، وغرسها فى نفوس الشباب سيد قطب فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات .. ولم تكن فى هذا الوقت قضايا تعذيب.

والدليل أن أفكار التكفير والعنف اعتنقها من هم خارج السجن وليسوا من وراء القضبان .. بعد أن قامت زينب الغزالى بنشر " معالم فى الطريق " لسيد قطب .. وكانت بالفعل معالم على طريق الدمار .

وفى كل الحوادث لم تكن الشرطة هى المعتدى الأول ولم تمسك زمام المبادأة .. وإنما تدخلت لمواجهة هذه الجرائم قبل أن تتفاقم ..

والإخوان اختاروا للتعذيب مواسم مثل الأوكازيون ، لإغراء الجماهير للإقبال على بضاعتهم الراكدة .. كالشحاذ الذى يبتر ذراعه أو يقطع رجله ، لاستدرار عطف الناس فى الميادين والشوارع والحصول منهم على بضعة قروش ..